احتفال جماعة دار العلوم

بتخليد ذكرى المرحوم

أبو الفتح الفقى

فى الساعة السادسة والنصف من مساء الثلاثاء ١١ يوليه سنة ١٩٣٩ احتفلت جماعة دار العلوم فى نادى دار العلوم بتخليد ذكرى المغفور له «أبو الفتح الفقى»

قد انتظم النادى كثيرين من صفوة القوم ورجال التربية والتعليم بمصر وكان فى مقدمة الحاضرين حضرة الشيخ الجليل صاحب السعادة أمين باشا سامى وأصحاب العزة الأساتذة محمد العشماوى بك ومحمد عوض إبراهيم بك ومحمود الدرويش بك وأمين سامى حسونه بك ومحمد رفعت بك وعبد الرازق القاضى بك ومحمود البطراوى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك وغيرهم من أعضاء مجلس الإدارة وهيئة التدريس بدار العلوم وأساتذة اللغة العربية فى المعاهد المختلفة .

وكان فى استقبالهم حضرة الأستاذ نجيب حتاته رئيس جماعة دار العلوم تعاونه اللجنة التنفيذية التى ألفت للإشراف وتنظيم الاحتفال .

ولما حضر صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف قابله الأعضاء واستقبلوه أحسن استقبال ، ثم مدت الموائد تحمل مالذ وطاب وجلس إليها المدعوون فأكلوا وشربوا ثم وقف الأستاذ نجيب حتاته وألقى الكلمة الآتية :

معالى الوزير

أستاذنا أمين باشا سامى

حضرات الإخوان

أحييكم أجمل تحية ، وأرحب بكم أتم ترحيب ، وأشكر لكم تلبيتكم دعوتنا ، وتفضلكم بتشريف حفلة ذكرى المغفور له أبى الفتح الفقى رئيس جماعتنا السابق.

سادتى :

تخرج الفقيد فى دار العلوم سنة ١٩٠٧ ثم اختير عضوا للبعثة فى انجلتره ، وعاد موفقا فاشتغل بالترجمة والتحرير فى الإدارة التى أنشأتها وزارة المعارف فى ذلك الوقت لوضع مصطلحات للعلوم والفنون كى تكون أساساً لتدريس المواد المختلفة باللغة العربية بعد أن كانت تدرس باللغات الأجنبية .

ثم اختير للتفتيش فى مدارس الوزارة وجاءت الثورة الوطنية فكان من البارزين فى ميادينها وقد اختير نقيبا للمعلمين فقام بأعباء هذا العمل على أكمل وجه ، ودافع عن حقوق المعلمين دفاعا مجيدا ، ثم رشحته كفايته ليكون عضوا فى مجلس النواب سنة ١٩٢٤ وفى سنة ١٩٢٥ عاد إلى الوزارة مفتشا ، ثم معاونا لمراقب التعليم الأولى ، وأخذ يتقلب فى الوظائف حتى انتهى به المطاف إلى دار العلوم ، إذ عين وكيلا لها فأخذ يعمل لإسعاد أبنائها والمحافظة على كيانها حتى عاجلته المنية أشد ما تكون الحاجة إليه .

ولقد كان فى كل وظيفة تولاها مثال الرجل العامل والقائد المحنك ، يريح مرءوسيه ، ويأسرهم بطيب شمائله ، ورقة قلبه ، ودقة عمله .

ولم ينس الفقيد واجبه الاجتماعى بجانب عمله الحكومى بل كان قائداً للمعلمين سنين طويلة ، ثم قائداً لطائفته يسهر لراحتها ، ويعمل على رفع مكانتها ، ويتعرض للأذى بسببها حتى كون لها جماعة محترمة ، وأسس لها ناديها ، الذى يضم أبناء دار العلوم ويوجه جهودهم لخير التعليم .

فكان لزاما علينا وعلى الإخوان أن نحيي ذكراه ونقدر فضله ؛ وفاء بحقه واعترافا بجليل خدماته ، فجمعت مبالغ من المال اشترينا بها ٥٦ سهما من سهوم مصرف مصر جعلنا ريعها جائزة سنوية تمنح للفائزين الأول والثانى من خريجى الدار فى امتحان اللغة العربية ، وقد استحق الجائزة الأولى الأستاذ أحمد عبدالعظيم ، والجائزة الثانية الأستاذ عبد العال فج النور .

ثم قدم الجائزتين إلى حضرة صاحب المعالى الوزير فقدمهما إلى الفائزين ، وبعد ذلك ألقى معاليه الخطبة الآتية :

إخوانى :

لايسعنى إلا أن أشكر لحضرة رئيس جماعة دار العلوم على ماوجهه إلىمن ثناء . وحق على قبل هذا أن أقدر عملكم الجليل لتخليد ذكرى فقيدكم بالاكتتاب لهذه الجوائز التى توزع على الناجحين الأولين اليوم . وستوزع على الناجحين الأولين فى مثل هذا الموعد من كل عام ، وإنى إذ أقدر ماقمتم به تخليداً لذكرى رجل كان له فى العمل العظيم الذى تضطلعون به ، وأعنى تعليم اللغة العربية أثر كبير لايفوتنى القول بأن هذا قليل بالقياس إلى مايجب علينا للذين يغادرون الحياة بعد أن يتركوا فيها أثراً خالداً .

إخوانى :

يخطىء جداً من يظن أن العاملين الصالحين المصلحين يزولون من الحياة بموتهم ، فهذا الجسد الذى يفنى ليس شيئا فى تقويم الرجال ، وإنما قيمتهم فيما يقومون به من أعمال صالحة ، والأعمال الصالحة باقية شاهدة لأصحابها فى هذه الحياة الدنيا ، شاهدة لهم عند الله فى الحياة الآخرة .

وإنه ليسعدنى أن يكون إلى جانبنا فى هذا الحفل ذلك الرجل الكبير أمين سامى باشا الذى عمل كثيرا فى هذه الحياة ، وإنى وإن لم أسعد بالتلمذة له فقد كان والدى وبعض أعمامى من تلاميذه ، وإذا كنت مدينا لهؤلاء بالفضل

كابن ، فإنى مدين لأمين باشا كفيد .

كان أمين باشا ناظراً لدار العلوم وكان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده من معاصريه فتحدث عن اللغة العربية فقال « تموت اللغة العربية فى كل مكان وتحيافى دار العلوم » .

ولقد كان أمين باشا يقدر المهمة العظيمة الملقاة على عاتق معلم اللغة العربية ومعلم اللغة فى كل أمة .

ولهذا كان يتقدم للدار ثلثمائة طالب فلا يختار منهم — كما قال لى — سوى أربعة أو خمسة .

إخوانى :

لقد ظلت دار العلوم سبعين عاما تنهض بمهمتها على وجه يدعو إلى الفخار، ولكن الزمن يتغير ، ومهمة دار العلوم تتغير ، ولهذا دعوتكم إلى التفكير معى فيما يجب أن يدخل على دار العلوم من إصلاح حتى تساير العصر .

لم يكن فى مصر منذ مائة عام أكثر من بضعة كتاب . فلما أنشئت دار العلوم كانت مهمتها شاقة ويكفى أن تتأملوا كتابات الجبرتى وابن إياس ومن إليهما من العلماء والمؤرخين لتروا مبلغ ما اضطلعت به الدار من عبء ، نرى غزارة فى المادة ، واستقلالا فى الرأى ، وحرية فى التفكير ، وابتكاراً فى المعانى ، ولكننا نرى مع هذا أسلوبا مهلهلا ، وتعبيرا متخاذلا ،فكان غرض دار العلوم إحياء موات اللغة وبعث هذا الكنز الذى كاد يختفى تحت الركام .

استطاعت دار العلوم بجهد رجالها أن تعيد هذا الضياء الخافى إلى اللغة العربية فى قواعدها وأدبها وبلاغتها وأن تحيى مجدها القديم الذى كان يفاخر به الأمويون والعباسيون ، بل استطاعت أن تبعث فيها القوة والنشاط ، وإذا كنا — نحن كتاب اليوم — مدينين لأحد فدينا لأبناء دار العلوم .

لقد ألفت كتب فى الأدب وفى القواعد ولكن الحكم عليها مايكون ،

ولكن الذين جمعوا ورتبوا هم أبناء دار العلوم ، وإذا كانت كل مهنة تتغير بتغير الزمن ، فمهمة رجل اللغة أخطر مهمة ، ولهذا يجب أن يظل صاحبها فى دأب مستمر واطلاع متصل ، وأن يبعد عن ذهنه أنه بتخرجه من المعهد الذى تعلم فيه قد أتم العلم وجمع المعرفة ، فمن يقول بهذا — إن لم يكن قد وهبه الله سرا لانعلمه — دعى مغرور لاخير فيه ، ولا رجاء منه ، فابعثوا فى نفوس أبنائكم حب الاطلاع والرغبة فى التحصيل ، وقد خطت مصر خطوات واسعة فى سبيل نقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى العربية ، ونحن نطالب الجامعة الآن بأن تدرس العلوم جميعا باللغة العربية ، لأن اللغة مقوم أساسى من مقومات القومية ، فإذا كانت أجنبية كان الشعور بالقومية ضعيفا ، وكانت نفسية الشعب ضعيفة .

وعليكم بعد الجهد الماضى ، أن تخطو خطوة جديدة ، تلك هى قومية اللغة وقومية العلم ، وتيسير اللغة لتتسع لهذا العلم ، فنحن نعلم أن العربية غنية ، وأنها كفيلة بأن تسد مطالب العلوم كلها . وإنى إذ أدعو إلى هذا لا أدعو إليه كوزير للمعارف — ولقد مكنتنى هذه الصفة من أن ألمس جهدكم بوضوح — ولكنى أدعو إليه ككاتب عربى .

ثم عليكم أن تقربوا بين لغة الكتابة ولغة التخاطب ، وليس تحقيق هذا بالأمر العسير ، فقد كانت فرنسا منذ خمسين عاما مختلفة اللهجات باختلاف المقاطعات ، ولكنها استطاعت بعد انتشار التأليف وذيوع الصحف ، أن توحد بين هذه اللغات جميعها ، وبينها وبين لغة التخاطب .

وقد انتشر التأليف فى مصر وذاعت الصحف إلى حد كبير ، وعليكم أن تواصلوا هذا الجهد حتى يؤتى ثمرته المرجوة .

وإنى لواثق من أنكم جميعا تشعرون بشعورى ، وتحسون إحساسى ، ومتى اتحد الشعور كفى أن يقول إنسان كلمة الحق ليستجيب الناس نداءه .

وإنى أقرر اطمئنانى إلى أن اسم دار العلوم سيبقى دائما علما لنهضة اللغة العربية، وسنسير بها خطوة بعد خطوة، ومرحلة إثر مرحلة، وأن رجالها سيشعرون دائما بأنهم كلما أتموا مرحلة تفتحت أمامهم أبواب مراحل جديدة، شأنهم فى ذلك شأن طالب السعادة كلما أمسك بشىء شعر بأنه ينقصه أشياء. وشعور الإنسان بالنقص آية الأمل فى الكمال.

وإن اعترافى بالدين لأبناء دار العلوم فى تعلم اللغة العربية يشعرنى بأنه واجب على أن أسير معهم، وأن أتعاون وإياهم على تحقيق مانرجوه جميعا للغة العربية.

ويشجعنا على الاضطلاع بهذا العبء شباب مليكنا المحبوب الذى يبعث الحياة قوية فتية فى هذا الوطن وفى جميع مقوماته.

***

هذا وقد أعد كثير من أبناء دار العلوم مجموعة طيبة من الخطب والقصائد لم يتسع وقت معالى الوزير لسماعها ومن بينها قصيدة للأستاذ عبد العزيز عتيق، وقصيدة للأستاذ عبد العظيم بدوى وقد نشرناهما فى موضع آخر.

***